سورة لقمان

بسم الله الرحمن الرحيم

الٓمٓ ﴿١﴾ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ
لِّلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٣﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم
بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٥﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ
لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ
عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرٗا
كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيۡهِ وَقۡرٗاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾
خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ
بِكُمۡ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا
فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا
خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿١١﴾

سورة لقمان مكيّة وآياتها أربع وثلاثون آية.

[١] سبق الكلام علىٰ الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.

[٢] بدأت السورة بالإشارة إلىٰ أن هذه الآيات المنزلة علىٰ النبي ﷺ هي آيات القرآن المحكم الذي لا يعتريه بطلان ولا فساد، وهو محفوظ من التغيير والتبديل، وهو الهادي إلىٰ سواء السبيل، والموصل إلىٰ رضوان الله والجنة.

[٣] ثم بين سبحانه أن هذه الآيات التي أنزلناها علىٰ نبينا محمد ﷺ هي آيات هدىٰ ورحمة للذين أحسنوا القول والعمل؛ والمحسن هو العامل للحسنات، القائم بعبادة الله ونشر الخير، وهو الذي يعبد الله مخلصًا علىٰ علم ويقين وصلاح.

[٤] وأولئك المحسنون هم الذين يؤدون الصلاة كاملةً تامةً في أوقاتها بأركانها وشروطها وواجباتها ومستحباتها، ويخرجون زكاة أموالهم كما أُمروا طيبةً بها نفوسهم، ومن صفاتهم أنهم يؤمنون ويصدقون بالبعث تصديقًا جازمًا يدفعهم لعمل الصالحات، والاستعداد ليوم كثير الكربات. ولا شك أن هذه الثلاث هي أهم أركان الإسلام للمؤمن.

[٥] واعلموا أن أولئك الذين اتصفوا بهذه الصفات الكريمة السابقة علىٰ هداية عظيمة من ربهم، وأولئك هم الفائزون في الدنيا والآخرة بالدرجات العلا.

[٦] يخبر جل وعلا بأن من الناس من يشتري لهو الحديث ليصرف الناس عن دين الله وعن صراطه المستقيم، ويتخذ آيات الله سخرية واستهزاءً، فاعلموا أن أولئك لهم عذاب يذلهم ويخزيهم يوم القيامة.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: لهو الحديث: هو والله الغناء، قالها ثلاثًا، أي: المعازف والمغنيات، وشراؤه، أي: استحبابه.

ولكن الآية أشمل من ذلك، فيكون المعنىٰ: ومن الناس من يختار كل كلام محرم وكل لغو وفسوق؛ ليضل الناس عن الهداية وعن سبيل الله.

[٧] وهذا الصنف من الناس إذا قُرِئت عليه آياتُ الله ليؤمن بها، وينقاد إليها، إذا به يعرض عنها مبالغًا في التكبر، كأنه لم يُقرأ عليه شيء، وكأنه لم يسمعها، وكأن في أذنيه صممًا لا يسمع لأصواتٍ، فهذا الصنف بشِّره يانبي الله بعذابٍ أليمٍ موجع جزاء استهزائه وإعراضه.

[٨-٩] وهذه بشرىٰ لأهل الخير الذين آمنوا بالله ووحدوه، وصدّقوا رسوله ﷺ وآمنوا به، ثم عملوا الأعمال الصالحة، بأن الله أعدَّ وهيَّأ لهم جنات ينعمون فيها فلا يبأسون أبدا، فيها ما لا عينٌ رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر علىٰ قلب بشر، وأنهم ماكثون في هذه الجنات، قائمون فيها إقامةً دائمةً لا انقطاع فيها، هذا وعد الله حقًّا لاشكَّ ولا ريب فيه، والله هو العزيز الغالب الذي يفعل ما يشاء، وهو الحكيم الذي يضع الأمور في مواضعها، وهو سبحانه يحكم ما يريد.

[١٠] واعلموا أن الله وحده هو الذي خلق هذه السماوات الضخمة ورفعها من غير عمد مرئية تستند عليه كما تشاهدونها، وألقىٰ في الأرض جبالًا ثابتة لكي لا تضطرب بكم، ونشر في الأرض مختلف أنواع الدواب التي فيها منفعتكم ومصلحتكم، وأنزل من السحاب مطرًا، فأنبت به من الأرض من كل صنف بهيج جميل المنظر كثير المنافع، فقدرته جل وعلا أمرها عظيم لا تحدها حدود، فهو قادر علىٰ خلق الكائنات العظيمة بعمد وبغير عمد، ترىٰ أو لا ترىٰ؛ فهو علىٰ كل شيء قدير.

[١١] واعلموا أيها المشركون أن كل ما تشاهدونه من المخلوقات هو خلق الله، فإذا علمتم ذلك فأرونا ماذا خلقت آلهتكم التي تعبدونها من دون الله؟ وفي هذا تعجيز للمشركين، وإعلام لهم بأن الصناعات التي صنعوها من مراكب وغيرها إنما صُنعت بعلمه ومعونته، واعلموا أن الظالمين المتجاوزين لحدود الله في ضلال بين واضح.

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا
يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ
لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ
لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ
وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ
إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ
لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ
وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم
بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَىٓ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ
خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ
بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ
بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ
مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ
مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ
وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾

[١٢] ولقد من جل وعلا علىٰ عبده لقمان وأعطاه الحكمة – وهي العلم النافع والعمل الصالح –، ثم أمره أن يشكره علىٰ هذه النعمة العظيمة ليبارك له فيها، ويزيده منها، ومن يشكر فإن نفع هذا الشكر عائدٌ عليه، ومن يجحد ويكفر فلا يضرّ إلّا نفسه، والله جل في علاه غني عن العالمين وعن شكرهم، وهو سبحانه حميدٌ في ما يقدره ويقضيه، حميدٌ في جميل صنعه جل في علاه.

والجمهور علىٰ أن لقمان ليس نبيًّا، وإنما كان حكيمًا وطبيبًا، وحكىٰ الله عنه كلامًا حكيمًا ونصائح غير ما ذكر في هذه السورة؛ فالله منحه الحكمة والذكر الحسن، ووصاياه لابنه نفيسة ما تَمَثَّل بها إنسان وعمل بها إلّا فاز ونجح في الدنيا والآخرة.

[١٣] واذكر يانبي الله يوم أن قال لقمان لابنه واعظًا إيّاه بالأمر والنهي: يابني أخلص العبادة لله بالتوحيد، ولا تُشرك به أحدًا في عبادته، واعلم أن الشرك أعظم الظلم علىٰ الإطلاق، فالظلم: وضع الشيء في غير موضعه، فعبادة غير الله، أو إشراك أحد معه في العبادة: وضع للعبادة في غير موضعها، وهذا من أظلم الظلم، وأعظم الفساد.

[١٤] يخبر سبحانه أنه أوجب علىٰ الإنسان، وأوصاه وصيّة عظيمةً ببرِّ والديه والإحسان إليهما، ثم بين سبب ذلك أن أمه حملته في بطنها وأنها تزداد بهذا الحمل مشقة وضعفًا علىٰ ضعف كلما كبر في رحمها، ثم بين سبحانه أن فطامه عن الرضاعة يكون في عامين، ثم أمر سبحانه هذا الإنسان أن يشكر الله بالقيام بعبوديته وأداء حقوقه كما أمرك، واشكر لوالديك برهما والإحسان إليهما بجميع وجوه الإحسان، واعلم أن إلىٰ الله المرجع والمصير، وستُسأل عن هذه الوصية، هل أديتها؟! أم أضعتها وفرطت فيها؟!

[١٥] واعلم أيها الإنسان أنه إن اجتهد والداك في دعوتك إلىٰ الشرك بالله؛ فلا تطعهما في ذلك، ولا تتبعهما، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ولكن لا تعقّهما وتسيء إليهما؛ بل صاحبهما بالبر بهما والإحسان إليهما، واصنع المعروف لهما، واتبع سبيل من رجع إلىٰ الله بالتوبة والإخلاص، والزم طريقهم، إلىٰ الله مرجعكم جميعًا فيخبركم بأعمالكم، ويجازيكم عليها.

[١٦] ثم قال لقمان لابنه: يابني: إن يكن من أعمالك وزن حبة من خردل متناهية الصغر، فتكون في وسط صخرةٍ، أو في أي مكان في السماوات والأرض، فإنها لا تغيب عن الله؛ بل يأتي الله بها، ويحاسبك عليها، إن الله لطيفٌ بعباده، خبيرٌ بأعمالهم.

[١٧] ثم قال لقمان لابنه: يابني: أدِّ الصلاة في وقتها، وتَمِّم أركانها وشروطها وواجباتها وسننها، وأْمر بالمعروف، وانهَ عن المنكر، واعلم أنه سيصيبك بسبب ذلك الأذىٰ الكثير، فاصبر علىٰ ما يصيبك في سبيل ذلك، واعلم أن هذه الطاعات المذكورة من الأمور التي يُعزم عليها، ويهتم بها، ولا ينالها إلّا أولو العزم، وأصحاب الهمم العالية.

[١٨] ثم قال لقمان لابنه: يابني: لا تعرض بوجهك، ولا تُمِلْهُ وتعبس به تكبُّرًا علىٰ الناس، ولا تمش مشية المتفاخر المتباهي المعجب بنفسه، واعلم أن الله لا يحبُّ كل من يختال في نفسه ويتعاظم ويتكبر علىٰ خلق الله، ولا يحب الله كل فخور علىٰ الناس بقوله أو شرفه أو قوته.

[١٩] ثم قال لقمان لابنه: يابني: إذا مشيت فتواضع لله في مشيتك، وامشِ بوقارٍ وسكينةٍ، وإذا تكلّمت فاخفض من صوتك، ولا ترفعه أدبًا مع الله ومع الناس، فإنَّ رفع الصوت أمر قبيح، واعلم أن أقبح الأصوات وأفظعها وأبشعها لصوت الحمير، وفي هذا تنفيرٌ من رفع الأصوات لغير حاجة.

أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ
عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ
بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا
مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۗ أَوَلَوْ كَانَ
الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٢١﴾ * وَمَن يُسْلِمْ
وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ۗ
وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ ۚ
إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ
﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾
وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ ۚ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ
مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ
مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَّا خَلْقُكُمْ
وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾

[٢٠] يمتن جل وعلا علىٰ عباده أن أسبغ عليهم نعمه؛ فأخبر أنه سخر لمنفعتهم ومصلحتهم ما في السماوات من شمس وقمر وسحاب وغير ذلك، وسخر لهم ما في الأرض من دواب وزروع وثمار، وأخبر أنه عمهم بكل أنواع النعم الظاهرة علىٰ الأبدان والجوارح، والباطنة في العقول والقلوب، ومع هذا التكريم وهذا التفضيل فإن بعض الناس لا يشكر هذه النعم؛ بل يخاصم في توحيد الله وفي إخلاص العبادة له وحده، بغير حجة ولا هدًىٰ، ولا كتاب منير ينير عقله وقلبه.

وهذا هو شأن الإنسان، فإنه: ﴿أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف:٥٤].

[٢١] وإذا قيل لهؤلاء المشركين: اتبعوا ما أنزل الله علىٰ رسوله ﷺ من الهدىٰ والبينات، أجابوا قائلين: ما نتبع إلّا ما وجدنا عليه آباءنا من عبادة الأصنام والأوثان، بل يتبع هؤلاء الجهال آباءَهم ويسيرون خلفهم حتىٰ لو كان الشيطان قد أضلهم من قبل، ودعاهم إلىٰ عذاب السعير فاتبعوه!!

[٢٢-٢٣] واعلموا أن من يستسلم لله بالتوحيد، وينقاد له بالطاعة مخلصًا له الدين، وهو محسنٌ في ذلك بأن يعبد الله كما يراه فإن لم يكن يراه فإن الله يراه؛ فقد اعتصم بالعهد الأوثق وتمسك بحبل النجاة والسلامة والفوز العظيم، وإلىٰ الله رجوع الأمور ومنتهاها ومصيرها. أما من كفر بالله وجحد آياته وكذّب رُسُلَه؛ فلا تحزن عليه، ولا تأس عليه، فقد أديت ما عليك من النذارة والبلاغ، وإلينا مرجع من كفر وكذّب، فنخبرهم بقبيح ما فعلوا، ونحاسبهم ونجازيهم علىٰ ما قدمت أيديهم، والله جل في علاه عليمٌ بكل شيء، يعلمُ ما في الضمائر، ويعلم ما تخفيه الصدور.

[٢٤] ثم أخبر سبحانه أنه سوف يمهل هؤلاء المشركين ويمتعهم في الدنيا متعًا قليلةً زائلةً ليزداد إثمهم، ثم يُلْجِئهم إلىٰ عذاب ثقيل شديد لا يحتملونه.

[٢٥] ولئن سألتَ يانبي الله هؤلاء المشركين: من خلق السماوات والأرض ؟!! ليُجيبونك بقولهم: الله، هو الذي خلق السماوات والأرض، فقل: الحمد لله علىٰ إقراركم بذلك واعترافكم، فعليكم أن تجزموا أن المتفرد بخلق السماوات والأرض هو الذي يستحقُّ أن يُفرد بالعبادة وحده دون من سواه، ولكن أكثرهم لا يعلمون ولا ينظرون ولا يتدبرون.

[٢٦] واعلموا أن لله وحده ما في السماوات والأرض خلْقًا وملكًا وتدبيرًا، إن الله هو الغني عن ما سواه، الحميد الذي له الحمد كله والثناء كله.

[٢٧] واعلموا أيها الناس لو أن جميع الأشجار التي في الأرض صُيِّرتْ أقلامًا يكتب بها، وجميع البحار صيرت مدادًا ومن ورائها سبعة أبحر لكتابة كلمات الله، لنفدت الأقلام والبحار، ولم تنفد كلمات الله جلَّ في عُلاه، إن الله هو العزيز الغالب الذي لا يعجزه شيء، الحكيم في تدبير خلقه.

يستفاد من هذه الآية أن اتصافه جل وعلا بالكلام كذاته لا نهاية ولا حدود للإحاطة بها.

[٢٨] ثم ذكر جل وعلا كمال عظمته وقدرته، وأنه لا يعجزه شيء، فإذا أراد شيئًا فإنما يقول له (كن) فيكون بقدرته سبحانه وتعالىٰ، وبين أن الخلائق كلها من قبل آدم إلىٰ قيام الساعة لا تحتاج منه إلىٰ جهد وعناء لبعثها وحشرها؛ فهي كخلق نفس واحدة، إن الله سميع لأقوالكم، بصير بأحوالكم لا يخفىٰ عليه شيء منها، وسيحاسب الجميع يوم القيامة كلًّا بحسب عمله.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ
وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ
بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ
مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ
ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّ
فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ
كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ
فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ
﴿٣٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ
عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ
حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ
ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ
وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ
وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾

سورة السجدة

[٢٩] يخبر جل وعلا أنه يدخل الليل في النهار، ويدخل النهار في الليل، وأنه ذلَّل الشمس والقمر يجريان بتدبير ونظام إلىٰ أجل محدَّدٍ ووقت معلوم، ثم بين سبحانه أنه خبيرٌ مطلعٌ علىٰ جميع أعمالكم، وسيجازيكم عليها.

[٣٠] ثم بين جل في علاه أن ذلك الخلق والتدبير، وتلك الصفات العظيمة تدل علىٰ أن الله هو الإله المعبود بحق - دون من سواه -، وأن جميع ما يُعبد من دون الله هو الباطل، وأن الله جل في علاه هو العليُّ بذاته وقهره وقدره، وأنه سبحانه هو الكبير الذي له الكبرياء في ذاته وصفاته.

[٣١] ثم يخبر جل وعلا أن السفن تجري في البحر بنعمة الله وفضله ورحمته، فتحملكم وتحمل بضائعكم في أسفاركم في البحر لطلب الرزق، لتشاهدوا بأنفسكم آيات الله فتنتفعوا وتعتبروا بها، إن في ذلك لعلاماتٍ تدل علىٰ قدرة الله وحلمه ورحمته، وإنما ينتفع بهذه الآيات كلُّ عبدٍ كثير الصبر علىٰ طاعة الله، وعن معصيته، وعلىٰ أقداره المؤلمة، كثير الشكر لله علىٰ نعمه وآلائه الدينية والدنيوية.

[٣٢] ثم ذكر جل وعلا حال المشركين إذا ركبوا السفن في البحر، ثم اشتدت بهم الريح، وارتفع الموج كالجبال، ولعب بالسفن، واشرفوا علىٰ الغرق؛ دعوا الله تعالىٰ بإخلاص الدين له، ولكن بعد أن أجاب الله دعاءهم ونجاهم وسلمهم من الهلاك فمنهم مقتصد، أي: جحد دين الله وعاد للكفر، كما قال مجاهد، ثم بين سبحانه أنه ما يجحد بآيات الله ويكفر بها إلا كل ختار، أي: كل غدار كما قال ابن كثير، وكل جحود لنعم الله عليه، فلا يشكرها؛ بل يتناساها ولا يذكرها.

[٣٣] ياأيها الناس خافوا من الله واحذروا عقابه، وامتثلوا أمره، واجتنبوا نهيه، وخافوا من يوم القيامة، ذلك اليوم الذي لا ينفع فيه الولد أباه، ولا ينفع الأب ابنه، ودعاء الرسل يومئذٍ: اللهم سلِّم سلِّم، واعلموا أن وعْد الله حقٌّ وَصِدْقٌ لا ريب ولا شكَّ فيه، ويوم القيامة آتٍ لا محالة، فلا تخدعنّكم الحياة الدنيا بزينتها وزخرفها فتُنسيكم الاستعداد للدار الآخرة، ولا يخدعنكم بِحِلْم الله عليكم الغرور الذي هو الشيطان.

[٣٤] ثم ختم جل وعلا هذه السورة بذكر الأمور الغيبية التي لا يعلمها إلا هو والتي اختص بها وحده؛ فذكر جل في علاه أنه اختصّ بعلم وقت قيام الساعة، واختص سبحانه بوقت إنزال المطر، واختصَّ سبحانه بعلم ما في الأرحام من الذكور والإناث والصلاح والفساد، ثم بين سبحانه أنه ما تدري أي نفس ماذا ستكسب غدًا في دينها ودنياها، ولا يعرف أحد من الناس المكان الذي سيموت فيه، فقد اختص الله جل في علاه بعلم هذه الأشياء كلها، ثم بين جل شأنه أنه هو العليم الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن، الخبير الذي لا يخفىٰ عليه شيء.